IJTIHAD JOURNAL
for Islamic and Arabic Studies
ISSNe: 3041-4679
ISSN: 2983-9939

Volume 1 - Issue 2, June - December 2024
مجلد 1 - عدد 2، يونيو – ديسمبر 2024

The Impact of Arab-Islamic Thought and Culture on Jewish Philosophers

Ibn Kammuna as a Model

Youssef CHATER PhD(c)
* Faculty of Letters and Human Sciences
Sidi Mohamed Ben Abdellah University – Fez
prf.chater@gmail.com

Charif ELGLITI PhD(c)
* Faculty of Letters and Human Sciences
Sidi Mohamed Ben Abdellah University - Fez
charifelgliti@gmail.com

OPEN ACCESS
Date received: Mai 12, 2024
Date revised: Sep. 10, 2024
Date accepted: Oct. 17, 2024
DOI: 10.5281/zenodo.14584592

ABSTRACT
This article explores the influence of Islamic thought and culture on Jewish philosophers in general, with a particular focus on the Jewish philosopher Ibn Kammuna. The significance of this choice lies in the relative scarcity of studies on Ibn Kammuna compared to more prominent Jewish philosophers such as Maimonides and Al-Fayyumi. Ibn Kammuna had a close relationship with Islamic civilization, to which he belonged by birth, education, and intellectual orientation. He even wrote his works in the style of Muslim scholars and philosophers.

The study aims to introduce the personality and thought of Ibn Kammuna and to examine the aspects of his influence by Islamic philosophical thought. The article is divided into two sections. The first section discusses the influence of Arab-Islamic thought and culture on Jewish philosophers and thinkers. The second section focuses on the specific manifestations of Ibn Kammuna's influence by Arab-Islamic thought and culture. This influence is clearly reflected in his frequent use of expressions of praise and supplication to Allah, his prayers and peace upon the Prophet Muhammad, his adoption of Ash'arism in contrast to most Jewish thinkers, his deep immersion in Islamic philosophy, his use of the Arabic language for writing and classification, and his composition of poetry in the style of Arab-Muslim poets.

KEYWORDS:
Islamic Thought; Jewish Thought; Islamic Philosophy; Jewish Philosophy; Ibn Kammuna.

IJTIHAD JOURNAL
for Islamic and Arabic Studies
ISSNe: 3041-4679
ISSN: 2983-9939

Volume 1 - Issue 2, June - December 2024
مجلد 1 - عدد 2، يونيو – ديسمبر 2024

أثر الفكر والثقافة العربية الإسلامية في فلاسفة اليهود ومفكريهم: ابن كمونة نموذجا

الأستاذ يوسف الشاطر
* كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة سيدي محمد بن عبد الله – فاس
prf.chater@gmail.com

الأستاذ الشريف الكليتي
* كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة سيدي محمد بن عبد الله - فاس
charifelgliti@gmail.com

OPEN ACCESS

تاريخ الاستلام: 12 ماي 2024
تاريخ التعديل: 10 سبتمبر 2024
تاريخ القبول: 17 أكتوبر 2024

IJTIHAD CENTER
FOR STUDIES AND TRAINING

المعرف الرقمي: DOI: 10.5281/zenodo.14584592

الملخص:

تتناول هذه المقالة موضوع تأثر فلاسفة اليهود بالفكر والثقافة الإسلامية عامة، والفيلسوف اليهودي "ابن كمونة" خاصة. وتعود أهمية هذا الاختيار إلى قلة الدراسات حول ابن كمونة بالمقارنة مع فلاسفة يهود مثل ابن ميمون والفيومي. كما أنه كانت تربط هذا الفيلسوف علاقة وثيقة بالحضارة الإسلامية، حيث انتمى إليها بالولادة والتكوين والفكر، بل وكتب مؤلفاته على منوال العلماء والفلاسفة المسلمين. وقد جاءت هذه الدراسة للتعريف بشخصية ابن كمونة وفكره واالنظر في جوانب تأثره بالفكر الفلسفي الإسلامي. وتم تقسيم المقالة إلى مبحثين. المبحث الأول يناقش أثر الفكر والثقافة العربية الإسلامية في فلاسفة اليهود ومفكريهم. أما المبحث الثاني، فقد خُصص لمظاهر وتجليات تأثر ابن كمونة بالفكر والثقافة العربية الإسلامية، والتي اتضحت بشكل لافت في ترديده عبارات الثناء على الله ودعائه والصلاة والسلام النبي محمد، تبني الأشعرية كمذهب فكري خلافا لأغلب المفكرين اليهود، التشبع بالفلسفة الإسلامية، استخدام اللغة العربية في الكتابة والتصنيف، قرض الشعر على طريقة الشعراء العرب المسلمين.

الكلمات المفتاحية:

الفكر الإسلامي؛ الفكر اليهودي؛ الفلسفة الإسلامية؛ الفلسفة اليهودية؛ ابن كمونة.

IJTIHAD JOURNAL
for Islamic and Arabic Studies
ISSNe: 3041-4679
ISSN: 2983-9939

Volume 1 - Issue 2, June - December 2024
مجلد 1 - عدد 2، يونيو – ديسمبر 2024

مقدمة[1]

حظي موضوع تأثر مفكري اليهود وفلاسفتهم بما خالطوه من فكر وفلسفات وثقافات الشعوب والحضارات الأخرى باهتمام الباحثين، الذين أكدوا وجود هذا الأثر في الفكر اليهودي، وتأثر اليهود الواضح بالآخرين، حتى صار ذلك من الحقائق الثابتة التي تصل إلى حد اليقين. وأكدوا فيما أكدوه قابلية الفكر اليهودي للتأثر كلما اتصل بالثقافات المختلفة، وخالط الحضارات الأخرى.

إن جوهر الفكر اليهودي الذي يعبر عن جوهر الشخصية اليهودية – كما يرى حسن حنفي - هو النزعة الخاصة[2] في مقابل النزعة الشمولية[3]، فإذا ما ترك الفكر اليهودي وحده، في عزلته، ودون اتصال بأمم وحضارات أخرى، ظهرت فيه هذه النزعة الخاصة. وإذا ما اتصل الفكر اليهودي بغيره من الحضارات، تقل النزعة الخاصة وتظهر النزعة الشاملة، كما هو الحال حين اتصال الفكر اليهودي بالفكر اليوناني عند فيلون، وبالفكر الإسلامي عند كثير من مفكري اليهود، مثل سعيد بن يوسف الفيومي، وابن جابيرول، ويحيى بن يوسف بن فاقودة، ويعقوب القرقساني، وموسى بن ميمون وابنه إبراهيم، وغيرهم كثير[4]. ويؤكد الباحث والمستشرق اليهودي الشهير جورج فاجدا Vajda Georges (1908 – 1981) من جهته وجود هذا

[1] **To cite this article:**
ECHATER, Youssef; ELGLITI, Charif, *The Impact of Arab-Islamic Thought and Culture on Jewish Philosophers: Ibn Kammuna as a Model*, Ijtihad Journal for Islamic and Arabic Studies, Ijtihad Center for Studies and Training, Belgium, Vol. 1, Issue 2, December 2024, 217-244.
يوسف الشاطر؛ الشريف الكليتي، **أثر الفكر والثقافة العربية الإسلامية في فلاسفة اليهود ومفكريهم: ابن كمونة نموذجا**، مجلة اجتهاد للدراسات الإسلامية والعربية، مركز اجتهاد للدراسات والتكوين، بلجيكا، مج. 1، ع. 2، ديسمبر 2024، 217- 244.

© This research is published under the (CC BY-NC 4.0) license, which permits anyone to download, read, and use it for free, provided that the original author is credited, any modifications are indicated, and it is not used for commercial purposes.

[2] يعبر حسن حنفي عن هذه النزعة بأنها الأساس النظري للعنصرية اليهودية عبر التاريخ، والتي عبرت عنها الصهيونية أخيرا في الفكر اليهودي الحديث. وهي نزعة تعطي الأولوية للنقل على العقل، وللدين على الفلسفة، وللذوق والكشف والإلهام، على النظر والاستدلال. فالنبي أعلى من الفيلسوف، وهي النزعة التي حملها الربانيون والأحبار. هاليفي (يهودا بن شموئيل)، الحجة والدليل في نصرة الدين الذليل، تر. ليلى أبو المجد، إشراف ومراجعة حسن حنفي وأحمد هويدي، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014، مقدمة حسن حنفي، ص9.

[3] يقصد بها حسن حنفي تلك النزعة المقابلة للنزعة الخاصة، والتي تعطي الأولوية للعقل على النقل، وللفلسفة على الدين، وللنظر والاستدلال على الذوق والكشف والإلهام، وللفيلسوف على النبي، وهي النزعة التي حملها القراؤون الذين عاشوا في كنف المسلمين. هاليفي، الحجة والدليل في نصرة الدين الذليل، مقدمة حسن حنفي، ص9.

[4] المصدر السابق نفسه، مقدمة حسن حنفي، ص9 – 10.

التأثر اليهودي بالآخرين، إذ يرى أن التأثر بالفكر اليوناني أدى إلى خلق مفكرين بشخصيات مركبة، مثل الفيومي وابن جابيرول وهاليفي وابن ميمون، والذين لا يمكن فصل الجانب اليهودي التلمودي فيهم، عن الجانب العقلاني اليوناني[1]. وحتى فيلون الذي يضرب به المثل عند اليهود في التجديد والأصالة والخصوصية، لم يكن نظره العقلي – حسب أحمد شحلان – إلا إرثا يونانيا لا يعكس أي حقيقة فكرية تكتسي طابع الخصوصية[2].

وإذا كان التأثر اليهودي حاصلا مع الفكر اليوناني بهذه الدرجة وبهذه القوة، فإن حصوله مع الفكر الإسلامي أولى وأوضح وأبين وأظهر، وقد أكده وأقره جل من تصدى لهذا الموضوع بالبحث والدراسة، سواء من الباحثين العرب، أو حتى من الباحثين اليهود والغربيين الموضوعيين، حتى صار أمرا لا ينازع فيه إلا من شذّ، أو حاد عن البحث العلمي النزيه. وسنعرض في المبحث الأول لبعض أقوال وآراء الباحثين في هذا الصدد، واستدلالاتهم على هذا التأثر، وذكرهم لمظاهره، ولكن ما يهمنا هنا في هذه المقدمة هو أن نبين أنه رغم هذا التأكيد والاعتراف بالتأثر اليهودي بالفكر الإسلامي، فإن السواد الأعظم من الباحثين اليهود ينفون أي تأثر بالفلسفات والثقافات الأخرى، ويثبتون فكرا فلسفيا يهوديا خالصا، بل ويدعون أنهم هم المؤثرون في غيرهم من الشعوب والثقافات والفلاسفة. تأثروا بالفلسفة اليونانية، والتي بدت واضحة مع فيلون، فراحوا يعلنون وينشرون – كما يذكر النشار – أنهم هم أصحاب تلك الفلسفة، وأن فيثاغورس وأفلاطون وأرسطو كانوا تلاميذ لليهود، وأن هناك علاقات بين أنبياء بني إسرائيل وبين الفلاسفة اليونان، وأن هؤلاء الفلاسفة أخذوا من معدن النبوة[3]. وتأثروا كذلك بالفكر والفلسفة الإسلامية وظهر ذلك جليا مع عدد كبير من فلاسفتهم كابن ميمون والقرقساني والفيومي، فراحوا ينكرون ذلك، ويعلنون أن الإسلام هو الذي أخذ من اليهودية، وأن اليهودية سابقة على الإسلام، واللاحق يأخذ من السابق.

وهذا ما يدفعنا للتساؤل عن مدى التأثر اليهودي بالفكر الإسلامي، وعن حقيقته، وعن مظاهره وتجلياته وانعكاساته على مفكري اليهود وعلى كتاباتهم. وبما أن الدراسات والأبحاث التي تناولت الموضوع كثيرة،

[1] "Saadia et ibn Gabirol, Juda Halevi et Maimonide sont, a degrés divers, mais au même titre, des personnalités composites ; chez chacun d'eux, l'aspect judéo-talmudique est aussi inséparable de de l'aspect gréco- rationaliste." George Vajda, Introduction à la pensée juive du moyen âge, Libraire philosophique, Paris, 1947, p 4.

[2] أحمد شحلان، ابن رشد والفكر العبري الوسيط، ط1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1999، ص 17.

[3] علي سامي النشار، الشربيني عباس أحمد، الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1972، ص 10.

خاصة مع بعض المفكرين اليهود كابن ميمون والفيومي والقرقساني وعنان بن داود، فقد وقع اختيارنا على مفكر يهودي، قلَّ من تناوله من الباحثين كنموذج من نماذج مفكري اليهود الذين تأثروا بالفكر الإسلامي، وقل من بيَّن مظاهر تأثره به، وحتى ذاك القليل الذي بين، إنما مر على ذلك البيان مرور الكرام مكتفيا بإيراد الحكم العام الذي هو التأثر دون استدلال عليه من حياة ابن كمونة أو من مؤلفاته. أو في أحسن الأحوال بين جانبا واحدا فقط من هذا التأثر، مهملا جوانب أخرى كثيرة.

فمن هو ابن كمونة؟ وهل تأثر حقا بالفكر الإسلامي على غرار أغلب مفكري اليهود وفلاسفتهم الذين عاشوا في رحاب الحضارة الإسلامية؟ وما مظاهر وتجليات تأثره بالفكر الإسلامي في حياته وفي مصنفاته وآرائه؟ وهل يمكن أن نعتبر ابن كمونة واحدا من أبناء الثقافة الإسلامية، وأحد ممثلي الفكر الإسلامي رغم يهوديته؟

المبحث الأول: أثر الفكر والثقافة العربية الإسلامية في فلاسفة اليهود ومفكريهم

قد نستغرب ونتعجب عندما نعلم أن أول من أشار إلى هذا التأثر اليهودي بالفكر الإسلامي – حسب علمنا -، لم يكن عالما مسلما من علماء القرون الوسطى، ولا باحثا عربيا أو غربيا معاصرا، وإنما كان هو أعظم فلاسفة اليهود في القرون الوسطى، وأكثرهم تعصبا لدينه اليهودي، موسى بن ميمون (ت 1204م)، والذي أكد هذا الأخذ والتأثر بالفكر الإسلامي، رغم أن كلامه يوحي بالتبخيس والتقليل من أهمية هذا الأخذ ومن قيمته وشأنه. يقول في كتابه "دلالة الحائرين": "أما هذا النزر اليسير الذي تجده من الكلام في معنى التوحيد وما يتعلق بهذا المعنى لبعض الجاؤونيين وعند القرائين، فهي أمور أخذوها عن المتكلمين من الإسلام، وهي نزرة جدا بالإضافة إلى ما ألفته فرق الإسلام في ذلك. واتفق أيضا أن أول ابتداء بهذه الطريقة كانت فرقة ما، وهم المعتزلة، فأخذوا عنهم أصحابنا ما أخذوا، وسلكوا في طريقهم. وبعد ذلك بمدة، حدثت في الإسلام فرقة أخرى، وهم الأشعرية، وحدثت لهم آراء أخرى، لا تجد عند أصحابنا من تلك الآراء شيئا، لا

لأنهم اختاروا الرأي الأول على الرأي الثاني، بل لما اتفق أن أخذوا الراي الأول، وقبلوه وظنوه أمرا برهانيا"[1]. فقوله هذا يدلنا على أن اليهود، وخاصة القرائين منهم، قد أخذوا عن متكلمي الإسلام، وتأثروا بهم.

بل أكثر من هذا الأخذ والتأثر الذي أشار إليه ابن ميمون، نجد أن هناك من ذهب إلى أن الفكر الفلسفي اليهودي لم يبدأ بالتشكل الحقيقي إلا في ظل الحضارة الإسلامية، بحيث يرى أحمد شحلان بأن اليهودية لم تدع قبل ظهور الإسلام إلى قيام فلسفة عقلية، كما أنه ليس في التوراة بذور مذهب فلسفي أو ميتافيزيقي يمكن عرضه من خلالها، إنما كانت اليهودية وكتبها المقدسة إعلانا عن مذهب ديني بحث خُلو من النظر العقلي[2]. وهكذا لم يبدأ الفكر الفلسفي اليهودي بالتشكل الحقيقي والفعلي، ولم يصل إلى قمته وذروته وعصره الذهبي حسب أغلب الباحثين، إلا في ظل الحضارة الإسلامية، والتي شكلت لليهود – حسب سعيد كفايتي - مجالا خصبا للإبداع والفكر[3]. وجدوا فيها التسامح والأمن والاستقرار الذي لم يتوفر لهم في ظل المسيحية، فأخذوا يبدعون ويصنفون، وظهر فيهم مفكرون وفلاسفة كبار، ووصل فكرهم إلى أرقى درجاته حتى إن أحمد شحلان وصف عهود الأندلس بالعصر الذهبي للفكر العبري اليهودي على مدى تاريخيه[4]. وكان للفكر الإسلامي الأثر الكبير فيما وصل إليه فلاسفة ومفكرو اليهود من تطور ورقي وإبداع، وذلك بفعل تأثرهم بفلاسفة الإسلام وأخذهم عنهم، تأثر وأخذ شمل كل مجالات الفكر والعلم، ووصل في بعض الأحيان إلى حد التماهي والاجترار لآراء وأقوال فلاسفة المسلمين[5]. وإذا كان هذا التأثر قد وصل إلى أعظم فلاسفة

---

[1] ابن ميمون "موسى أبو عمران القرطبي الأندلسي"، دلالة الحائرين، عارضه بأصوله العربية والعبرية وترجم نصوصه العبرية حسين أتاي، مكتبة الثقافة الدينية، (بلا تاريخ)، ص 180.

[2] أحمد شحلان، ابن رشد والفكر العبري الوسيط، ص 4 – 6.

[3] سعيد كفايتي، الإسلام والأديان، مركزية الإنسان وسيادة ثقافة السلم، ط1، دار خطوط وظلال للنشر والتوزيع، عمان، 2023، ص 6.

[4] أحمد شحلان، التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي، التسامح الحق، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2006، ص11.

[5] يقول عبد المنعم الحفني: "... وترجموا (أي اليهود) كذلك ابن سينا، وكان الميموني من المتلقين عنه، واستخدم برهانه المشهور في إثبات وجود الله المعروف ببرهان واجب الوجود، وقوله بالسلوب، وتفريقه بين الممكن والضروري، وبين الماهية والوجود، ونظريته في النبوة. وكذلك كان إبراهيم بن داود من التابعين لابن سينا، وخاصة نظريته في النفس، وبرهانه على أنه لا يجوز أن يكون اثنان واجبي الوجود. وكان للفارابي تأثير غير منازع على الميموني حتى أنه نقل عنه نظريته في الحكم والمدينة الفاضلة والنبوة والعناية والخلق والعقل، وترجم له فصولا كاملة. وكان اليهود يؤثرون الكتابة باللغة العربية لأنها كانت تسعفهم في مسائل الفلسفة والدين، ونهلوا من المصطلحات الإسلامية في الفقه، فكانت لهم

اليهود في القرون الوسطى، وهو موسى بن ميمون الذي اعتبره المستشرق اليهودي إسرائيل ولفنسون Israël Ben Zeev (1899 – 1980) أكثر فلاسفة اليهود تأثرا بالحضارة الإسلامية[1]. فإنه قد وصل إلى غيره من فلاسفة اليهود ومفكريهم دون شك. يقول عميد مؤرخي اليهود في القرن التاسع عشر هنريش كريتز Heinrich Graetz في تعبير بليغ واصفا ما أحدثه الفكر الإسلامي في الفكر اليهودي من أثر، رغم ما يوحي به كلامه من تبخيس للفكر الإسلامي، وتعظيم لما نتج عنه من فكر يهودي: "إن شعاع الفلسفة الخافت الذي سقط في عالم الإيمان الأعمى البسيط هذا، الجاهل بمعتقداته الخاصة، أنتج إضاءة مبهرة"[2].

حقيقة الأخذ والتأثر هذه أكدها وبرهن عليها بشكل عملي جل من تصدى لهذا الموضوع من الباحثين، فسامي النشار في كتابه "الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية"، يؤكد أن الفكر الإسلامي قد ألهم في مختلف نزعاته الفكر اليهودي، وكون في المجتمع الإسرائيلي كل الاتجاهات التي عاناها المسلمون، وكما ظهرت كُلَّامُه عند المسلمين معتزليا وأشعريا، ظهر عند اليهود، فكان منهم من تأثر تأثرا كاملا بالمعتزلة، كما كان منهم من تأثر تأثرا بينا بالأشاعرة، واستعادت فرق الكلام اليهودية كلام كل من المعتزلة والأشاعرة كما هو. ولم يكن لهم تراث فكري يضمنونه الآراء التي اعتنقوها وتلقوها من المسلمين، إن كل ما أضافوه تعبيرات تقليدية من التوراة أو التلمود أو المشنا أو الأجادة[3]. وقد تتبع النشار في كتابه فكر فلاسفة اليهود في العصور الوسطى، والذين عاشوا في رحاب الحضارة الإسلامية، وعرض له وبسطه، وقارن بينه وبين فكر علماء وفلاسفة المسلمين في تلك الفترة، فوجده لا يخرج عنه، ولا يختلف عنه إلا في التعبير وأسلوب الكتابة، ليخلص إلى أن الفكر اليهودي لم يكن في عهود الإسلام الزاهرة، وفيما بعد عهود الإسلام، لم يكن سوى انعكاس لهذا الفكر[4].

فتاوى كفتاوى المسلمين، وصاغوها صياغتهم، ولكنهم لم يستطيعوا أبدا أن تكون لهم علومهم كالعلوم الشرعية الإسلامية. عبد المنعم الحفني، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، مكتبة مدبولي، (بلا تاريخ)، ص9.

[1] إسرائيل ولفنسون، موسى ابن ميمون، حياته ومصنفاته، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ص ك.

[2] Heinrich Graetz, "The faint ray of philosophy which fell into this world of simple blind faith, ignorant of its own beliefs, produced a dazzling illumination." History of the Jews, Philadelphia, the Jewish Publication Society of America, 2013, vol 3, p 126.

[3] النشار، الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية، ص 2.

[4] المرجع السابق نفسه، ص 2.

وهذا حسن حنفي يقرر أن الفلسفة اليهودية العربية هي في الحقيقة جزء من الحضارة الإسلامية، تمت صياغتها، سواء المكتوب منها بحروف عربية، أو بحروف عبرية، على نمط العلوم الإسلامية. فالكلام اليهودي مبني على نسق الكلام الإسلامي، والفلسفة اليهودية قائمة على نسق الفلسفة الإسلامية، وكذلك التصوف والأصول وعلوم اللغة وفنون الأدب[1].

أما عبد المنعم الحفني في موسوعته حول فلاسفة ومتصوفة اليهودية، فقد أطال النفس في تأكيد هذه الحقيقة وبيان مظاهرها وتجلياتها، إذ يرى أن الفلسفة اليهودية لم تقم إلا بتأثير الفلسفة الإسلامية، فكانت رسائل إخوان الصفا هي الأرضية التي بنى عليها يوسف بن صديق، وسليمان بن جبريل، وموسى بن عزرا، وابن فلقاري فلسفاتهم. وعلى فلسفة الغزالي تتلمذ الميموني، ويهودا اللاوي، وإسحاق البلج. وطبعت الصوفية الإسلامية الاتجاهات المشابهة عند اليهود كالقبالة والحصيدية والشاباتية. كما حمل سعدي الفيومي، وداود بن مروان المقمص، وابن باقودة، والميموني، ويوسف بن إبراهيم البصير وغيرهم تأثير علم الكلام عند المسلمين وكانوا على مذهب المعتزلة[2].

المبحث الثاني: أثر الفكر والثقافة العربية الإسلامية في ابن كمونة

أولا: التعريف بابن كمونة وعوامل تأثره بالفكر والثقافة الإسلامية

يعد ابن كمونة واحدا من أبرز مفكري اليهود وعلمائهم الذين عاشوا في رحاب الحضارة الإسلامية في القرون الوسطى، واسمه الكامل هو عز الدولة أبو الرضا سعد بن نجم الدولة منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الله بن كمونة الإسرائيلي البغدادي[3]. ولد سنة 612 هجرية ببغداد، وتوفي بالحلة بالعراق سنة 683 للهجرة، وبذلك يكون قد عاش في رحاب دولتين هما الدولة العباسية، والدولة المغولية، أو بتعبير أدق، عاصر نهاية الخلافة العباسية وسقوط بغداد سنة 658 للهجرة، وبداية الحكم المغولي لبغداد والعراق. وتعد هذه الفترة التي عاش فيها ابن كمونة (612 – 683) من أسوأ الفترات التي مرت في تاريخ الإسلام على

[1] هاليفي، الحجة والدليل في نصرة الدين الذليل، مقدمة حسن حنفي، ص11.

[2] الحفني، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، ص 7.

[3] ابن الفوطي (الشيباني كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد)، مجمع الآداب في معجم الألقاب، تح. محمد الكاظم، ط1، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، 1416هـ، 1/ 190.

كل المستويات، إن لم تكن أسوأها، منذ قيام الدولة الإسلامية زمن النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، بسبب ما عرفته الخلافة العباسية من ضعف وانحلال وانقسام وتقلبات وصراعات، وما تلا ذلك من زحف المغول على البلاد الإسلامية، ونهاية الخلافة العباسية وسقوط بغداد بيد المغول وما نتج عن ذلك من انحطاط، وتدهور، وخراب، ودمار، وسفك دماء. فترة عصيبة مريرة مرت على الإسلام والمسلمين، جعلت المؤرخ الشهير ابن الأثير (ت630هـ) يعرض عن ذكر أحداثها سنينا في كتابه "الكامل في التاريخ" استعظاما لها، وكرها لذكرها، لدرجة أنه وصفها ب "نعي الإسلام"، "وأَنَّ الْعَالَمَ مُذْ خَلَقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى آدَمَ، إِلَى الْآنِ، لَمْ يُبْتَلَوْا بِمِثْلِهَا"[1].

ينحدر ابن كمونة من أسرة عريقة عملت في المناصب الرسمية، فلقبه "عز الدولة"، ولقب أبيه "نجم الدولة"، ولقب ابنه "غرس الدولة"، هي ألقاب درج أهل السلطة على إسباغها على كبار الموظفين العاملين في كنفهم، وذلك كمكافأة لهم على إخلاصهم وبراعتهم في العمل[2]. تلقى تعليمه الأولي في مدرسة درب اليهود في الرصافة على يد معلمين من أبناء طائفته، وأكمل تعليمه في مدرسة الكرخ على يد الربي أبو الفتح إسحاق بن الشويخ رأس المثيبة، تلقى منه علم النحو العربي والعبري، وعلم الفلك وحسن الخط. كما تلقى عن الربي شمويل بن أبي الربيع تفسير التوراة. ودرس كتاب الاعتقادات والأمانات لسعديا الفيومي، وتعلم في المدرسة المستنصرية الفلسفة الإشراقية. وصار الشاب منصور عالما وحكيما يدعى بابن كمونة وهو في الثلاثين من عمره، وصار حكيم اليهود في العلم والثقافة[3].

كان ذا أخلاق رفيعة، وخصال حميدة، ولعل أبرز ما ميزه على المستوى الخلقي، هو تدينه الشديد وإيمانه العميق بالله تعالى، والذي يمكن أن نلمس بعض مظاهره من خلال مقدمات كتبه وخواتيمها، حيث نجده يثني على الله تعالى، ويحمده، ويعترف بفضله عليه، ويدعوه بأسمائه الحسنى، دعاء العارف به، الملتمس لعفوه وصفحه، الطامع في فضله وكرمه، الراجي لمنه وإحسانه[4]. وفيما يخص مؤهلاته ومكانته العلمية، فقد كان ابن كمونة من علماء عصره دون شك، بل من أبرزهم وأشهرهم، جمع بين عدة علوم ومعارف،

[1] ابن الأثير (أبو الحسن علي)، الكامل في التاريخ، تح عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997، 10/ 333.

[2] صليبا لويس، كتاب قتل كاتبه، دراسة تعليق وتحقيق لـ: تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، سعد بن منصور بن كمونة، ط2، دار ومكتبة ببليون، جبيل لبنان، 2010، ص 34.

[3] عبد الحميد الحمد، دور اليهود العرب في الحضارة الإسلامية، ط1، حقوق الطبع للمؤلف، 2006، ص 233.

[4] يقول مثلا في مقدمة كتابه الشهير "تنقيح الأبحاث للملل الثلاث": "أحمد الله على ما أرشد وهدى، وأتوسل إليه بأسمائه الحسنى، وبما أظهره على لسان أنبيائه ورسله من صفاته العلى، أن يؤمنني في الآخرة والأولى، وأن يجعلني في دار الأبد من أهل السعادة العظمى". ابن كمونة (سعد بن منصور)، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، قدم له وعلق عليه وحققه سعيد الغانمي، ط1، منشورات الجمل، بغداد، بيروت، 2013، ص37.

IJTIHAD JOURNAL
for Islamic and Arabic Studies
ISSNe: 3041-4679
ISSN: 2983-9939

Volume 1 - Issue 2, June - December 2024
مجلد 1 - عدد 2، يونيو – ديسمبر 2024

سواء الدينية منها أو الطبيعية أو الفلسفية، وكان مقدما في كثيرا منها. فقد كان طبيبا[1] وفيلسوفا وحكيما ومنطقيا[2] وكيميائيا[3] وأديبا شاعرا[4] ومن كبار الموظفين في حقبة الحكم المغولي[5]. وكان كذلك مفكرًا مثمرًا للغاية، وعالمًا متناغمًا جيدًا مع التطورات في الفلسفة والعلوم في عصره. وكانت له اتصالات شخصية مع بعض كبار المثقفين، وكان له دور مهم في نشر بعض الاتجاهات الفكرية الجديدة[6]. قال فيه مؤرخ العراق الشهير ابن الفوطي (ت 724هـ) في كتابه: "مجمع الآداب في معجم الألقاب": "كان عالما بالقواعد الحكميّة والقوانين المنطقية، مبرّزا في فنون الآداب، وعيون النكت الرياضية والحساب، وقصده الناس للاقتباس من فوائده. ولم يتفق لي الاجتماع بخدمته للمرض الذي عرض لي، وكتبت إلى خدمته ألتمس شيئا من فوائده لأطرز به كتابي، فكتب لي مع صاحبنا وصديقنا شمس الدين محمد بن أبي الربيع الحاسب المعروف بالحشف سنة ثلاث وثمانين وستمائة:

صن العلم عن أهل الجهالة دائما /// ولا توله من لا يكون له أهلا
فيورثه كبرا ومقتا وشرّة /// ويقلبه النقصان من عقله جهلا
فكن أبدا من صونه عنه جاهدا /// ولا تطلبن الفضل من ناقص أصلا[7]

---

[1] ذكر ليون نموي في تقديمه لمخطوطة "رسالة في بقاء النفس" لابن كمونة، أنه ألف كتيبا شاملا في طب العيون، ولذلك فمن المؤكد بشكل معقول أنه كان طبيبا متخصصا في أمراض العيون، كما أن لقبه الفخري "عز الدولة" يشير إلى أنه حقق شهرة كبيرة في هذا المجال. ربما كان يعمل كطبيب عادي لكبار المسؤولين الحكوميين. يقول نموي:

"Since Ibn Kammuna was also the author of an extensive handbook of ophthalmology, it seems reasonably certain that he was by profession a physician specializing in the diseases of the eye, and his honorary title "Izz al Dawla" would indicate that he had achieved considerable eminence in this field, probably serving as physician in ordinary to high government officials" Leon Nemoy, The Arabic Treatise on the Immortality of the Soul by Sad ibn Mansur ibn Kammuna (XIII Century), Facsimile Reproduction of the Only Known Manuscript (Cod. Landberg 510, fol. 58–70) in the Yale University Library. With a Bibliographical Note. New Haven 1944, prefatory note.

[2] لابن كمونة مؤلفات كثيرة في الفلسفة والمنطق، منها: "رسالة في بقاء النفس"، و"الحكمة الجديدة في المنطق".

[3] لابن كمونة كتاب في الكيمياء بعنوان "تذكرة في الكيمياء"، ولكن هناك خلاف في نسبته إليه، كما أنه لا زال مفقودا.

[4] نظم ابن كمونة بعض الأبيات الشعرية، وله قصيدة قصيرة في الحكم والمواعظ.

[5] صليبا لويس، كتاب قتل كاتبه، ص39.

[6] "He was, in fact, a very productive thinker, and a scholar well in tune with developments in the philosophy and science of his day. He had personal contact with some leading intellectuals, and he played an important role in the delusion of some new trends of thought." Tzvi Langermann, Ibn Kammūna and the ''new wisdom'' of the thirteenth century, Arabic Sciences and Philosophy, vol. 15 (2005) pp. 277–327, Cambridge University Press, p 278.

[7] ابن الفوطي، مجمع الآداب في معجم الألقاب، 1/ 191.

IJTIHAD JOURNAL
for Islamic and Arabic Studies
ISSNe: 3041-4679
ISSN: 2983-9939

Volume 1 - Issue 2, June - December 2024
مجلد 1 - عدد 2، يونيو – ديسمبر 2024

هذه الإشارات التي أوردها ابن الفوطي عن ابن كمونة، رغم قلتها واختصارها، تؤكد حسب المستشرق اليهودي موشي برلمان Moshe Perlman (1911 – 1986)، سعة اطلاع هذا الرجل العلمية والفلسفية[1]، ويفهم منها كذلك حسب سعيد الغانمي، أن سمعة ابن كمونة في أوساط العلماء المسلمين كانت على درجة عالية من الرفعة، بحيث قصده الناس للاقتباس من فوائده، ويبدي ابن الفوطي أسفه لأنه لم يتح له الاستفادة منه[2]. ليس العلماء المسلمون فقط، بل حتى رجال الدولة كان لهم تقدير لابن كمونة، وكانوا يلتمسون فوائده وعلمه، فبعض كتبه ألفها بطلب من وزير أو أمير أو رجال بارزين في الدولة[3]. ومما يؤكد هذه المكانة العلمية الكبيرة لابن كمونة، مؤلفاته الكثيرة والمتنوعة والتي أوصلها الباحثان الإيرانيان المعاصران ريزا بورجافادي Reza Pourjavady وصابين شميدتك Sabine Schmidtke، في دراسة وافية لهما إلى سبعة وثلاثين مؤلفا، من أشهرها: "تنقيح الأبحاث للملل الثلاث". و"الحكمة الجديدة في المنطق" و"التنقيحات في شرح التلويحات". و"الكافي الكبير في الكحل". و"التذكرة في الكيمياء"[4].

وقد اختلف الباحثون المعاصرون في مسألة إسلام ابن كمونة، فذهب البعض منهم إلى إمكانية ذلك[5]، مستدلين بتلك العبارات التي وردت فيها الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم، وهي عبارات خاصة

[1] "The author of the chronicle that contains this passage also wrote a biographical dictionary that includes a brief note about Ibn Kammūna. it stresses the scientific philosophic erudition and fame of the man." Ibn Kammūna Saad Ibn Mansur, Examination of the inquiries into the three faiths.

ابن كمونة سعد بن منصور، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، عنى بنشره موسى برلمان، من مطبوعات جامعة كاليفورنيا، 1967، p ix.

[2] ابن كمونة، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، تح الغانمي، مقدمة المحقق، ص 10.

[3] من ذلك مثلا كتابه المشهور "الجديد في الحكمة"، الذي ألفه بطلب من دولة شاه ابن الأمير سيف الدين سنجر الصاحبي. يقول في مقدمته: "ولما كان الأمير الكبير الفاضل ... دولة شاه ابن الأمير الكبير سيف الدين سنجر الصاحبي ممن اطلع على شرف هذا العلم بألمعيته الثاقبة وآرائه الصائبة، التمس مني تصنيف كتاب فيه ترسمه فعملت هذا الكتاب". ابن كمونة (عز الدولة سعد بن منصور)، الجديد في الحكمة، دراسة وتحقيق حميد مرعيد الكبيسي، مطبعة جامعة بغداد، 1982، ص 146.

[4] Pourjavady Reza and Sabine Schmidtke. A Jewish Philosopher of Baghdad. Izz al-Dawla Ibn Kammuna and His Writings, Edited by H. Daiber and D. Pingree, Volume LXV, Brill, Leiden, Boston, 2006.

[5] من بين هؤلاء نجد الباحث والمستشرق اليهودي الشهير جورج فاجدا الذي تبنى رواية ارتداد ابن كمونة إلى الإسلام، وقال بأنه قد دفع في آخر حياته ضريبة الظروف الصعبة فارتد إلى الإسلام، لا عن قناعة، بل بدافع الخوف.

"Izz al-Dawla Saad b. Mansur b. Saad b. al-Hasan b. Hibat Allah, genannt ibn Kammuna, in Ägypten, trat zum Islam über, vielleicht kurz vor Abfassung von." Steinschneider Moritz, Die arabische Literatur der Juden, Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt, Frankfurt a. M., 1902, p 302.

IJTIHAD JOURNAL
for Islamic and Arabic Studies
ISSNe: 3041-4679
ISSN: 2983-9939

Volume 1 - Issue 2, June - December 2024
مجلد 1 - عدد 2، يونيو – ديسمبر 2024

بالمسلمين دون غيرهم، يستعملونها عند ذكرهم لنبيهم، والتي توجد في مقدمات وخواتم كثير من كتبه[1]. في حين نفت الأغلبية تحول ابن كمونة إلى الإسلام، وأكدت أنه بقي على يهوديته حتى موته، وأن صلاته وسلامه على نبي الإسلام كان فقط من باب مجاملة المسلمين الذين يعيش وسطهم، واستمالتهم والترويج لكتبه وسطهم[2]، أو هي من إضافات النساخ المسلمين لكتبه[3].

ويبقى أبرز حدث في حياة ابن كمونة، هو الحادثة الشهيرة لمحاولة قتله وإحراق كتابه "تنقيح الأبحاث للملل الثلاث" ببغداد سنة 683 للهجرة، حيث راج بين بين أهالي بغداد أن هذا الكتاب يطعن في الإسلام وفي النبي صلى الله عليه وسلم، فثار الناس وحاصروا داره لقتله والمطالبة بإحراق كتابه، إلا أن تدخل الحكام في بغداد آنذاك، والذين كانت تربطهم علاقات جيدة بابن كمونة، حال دون ذلك، حيث وضع ابن كمونة في صندوق خشبي وهرب إلى مدينة الحلة، وتوفي هناك بعد فترة قصيرة[4].

---

[1] جاء مثلا في مقدمة كتاب "تنقيح الأبحاث للملل الثلاث": "وأن يصلي على من بالملأ الأعلى، وعلى من اختصه بالنبوة والولاية من الورى، وخصوصا على رسوله المصطفى، وعلى آله وأصحابه أولي النهى". ابن كمونة، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، تح. الغانمي، ص 37.

[2] يرى ليو هيرشفيلد أن هدف ابن كمونة من استعمال تلك العبارات هو رغبته في انتشار كتابه وسط المسلمين، بتمهيد الطريق له وتهدئتهم مسبقا عن طريق تلك العبارات.

Hirschfeld Leo, Ibn Kammuna Saad Ibn Mansur und seine polemische schrifte, Hohen philosophischen fakultat, universitat Heidelberg, p 9.

[3] يرى موشي برلمان في تقديمه لتحقيق كتاب "التنقيح"، أن عبارات الصلاة والسلام على نبي الإسلام قد تكون من إضافات النساخ المسلمين، وأنه من المحتمل أن النص الأصلي الذي كتبه ابن كمونة، قد ذكر "نبي الله المختار"، وهي صيغة غير ملزمة، فهي مقبولة على حد سواء لليهود (بالإشارة إلى موسى) وللمسلمين (بالإشارة إلى محمد).

Ibn Kammuna Saad Ibn Mansur, Examination of the inquiries into the three faiths, p xii.

[4] كان كتاب "التنقيح" حسب جل الباحثين، مجرد ذريعة لمحاولة قتل ابن كمونة، أما الأسباب والخلفيات الحقيقية فكانت سياسية، وصراعات على الحكم بين أتباع الأديان الثلاثة. صليبا، كتاب قتل كاتبه، ص 14. وحادثة محاولة قتله وردت في كتاب "الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة"، وهو كتاب منسوب لابن الفوطي الشيباني كمال الدين: "وفيها (أي سنة 683) اشتهر ببغداد أنّ عز الدولة بن كمونة اليهودي صنّف كتابا سماه "الأبحاث عن الملل الثلاث"، تعرض فيه لذكر النبوات، وقال ما نعوذ بالله من ذكره، فثار العوام وهاجوا واجتمعوا لكبس داره وقتله، فركب الأمير تمسكاي شحنة العراق، ومجد الدين بن الأثير، وجماعة الحكام الى المدرسة المستنصرية، واستدعوا قاضي القضاة والمدرسين لتحقيق هذه، وطلبوا ابن كمونة فاختفى، واتفق ذلك اليوم يوم جمعة، فركب قاضي القضاة للصلاة فمنعه العوام فعاد إلى المستنصرية. فخرج ابن الأثير ليسكن العوام فأسمعوه قبيح الكلام ونسبوه الى التعصّب لابن كمونة والذب عنه، فأمر الشحنة بالنداء في بغداد بالمباكرة في غد الى ظاهر السور لإحراق ابن كمونة، فسكن العوام ولم يتجدد بعد ذلك له ذكر، وأما ابن كمونة فإنه وضع في صندوق مجلد وحمل إلى الحلّة، وكان ولده كاتبا بها فأقام أياما وتوفي هناك". ابن الفوطي (الشيباني كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تح سهدي النجم، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 2002، ص 304.

كان هذا تعريفا مختصرا بابن كمونة، أما عن عوامل تأثره بالفكر الإسلامي، فهي لا تختلف عند جميع مفكري وفلاسفة اليهود الذين عاشوا في رحاب الحضارة الإسلامية. ويمكن تقسيمها إلى صنفين رئيسين: عوامل داخلية أو ذاتية، وقد سبقت الإشارة إليها، وهي قابلية اليهود عموما للتأثر كلما خالطوا الثقافات والحضارات الأخرى، بحيث تقل فيهم تلك النزعة الخاصة العنصرية، على حساب النزعة العامة الشمولية، ما يجعلهم يقبلون الأفكار الأخرى ويتأثرون بها. وعوامل خارجية تمثلت فيما وفرته الحضارة الإسلامية لأهل الذمة عموما، ومنهم اليهود، من جو الأمان والتسامح والاستقرار والتعايش من جهة، ومن جو العلم والفكر من جهة أخرى، ما أتاح لليهود الفرصة للتعلم والاستفادة مما كان رائجا في الفكر الإسلامي من علوم ومعارف، ومحاولة تنزيلها على التراث اليهودي.

لقد كان ابن كمونة واحدا من أبناء البيئة والثقافة العربية الإسلامية، ولد في رحمها، وترعرع ونشأ في رحابها، وتشرب ثقافتها وعاداتها، وتعلم في مدارسها، وخالط أهلها، وتتلمذ على علمائها، وأتقن لغتها. فلا يمكن أن ينفك إلا متأثرا بها، معبرا عنها، متكلما بلسانها، متشبعا بفلسفتها. يقول لويس صليبا: "فعز الدولة سعد بن منصور بن كمونة الإسرائيلي اليهودي والبغدادي هو ابن الثقافة العربية الإسلامية، نشأ وترعرع في أجوائها"[1].

ثانيا: مظاهر تأثر ابن كمونة بالفكر والثقافة الإسلامية

رغم تأكيد جل الباحثين الذين تناولوا شخصية ابن كمونة بالدراسة، تأثره بالفكر والثقافة الإسلامية، إلا أن هؤلاء لم يفصلوا القول في مظاهر وتجليات هذا التأثر، وأكثرهم تفصيلا في ذلك اكتفى بإيراد مظهر واحد من مظاهر هذا التأثر. وهذا ما يفرض علينا أن نطيل النفس في هذه المسألة لعلنا نخرج بمجمل مظاهر وتجليات الأثر الإسلامي في فكر وثقافة ابن كمونة، معتمدين في ذلك على إشارات الباحثين المختلفة، وعلى إضافاتنا الخاصة مما فتح الله به علينا ومما لم نجده عند باقي الباحثين الذين تناولوا هذه النقطة من حياة ابن كمونة.

إن الناظر في حياة ابن كمونة عموما، وفي فكره وفلسفته ومؤلفاته خصوصا، سيلحظ مظاهر هذا التأثر بالفكر الإسلامي واضحة جلية، إلى درجة يمكننا معها أن نقول: إن القارئ لبعض مؤلفاته دون علم بعقيدة مؤلفها، سيجزم بأنه أمام فيلسوف أو عالم أو متكلم مسلم وليس يهودي. أو كما قال المؤرخ والمستشرق

[1] صليبا، كتاب قتل كاتبه، ص 15.

اليهودي المعاصر تزفي لانجرمان Tzvi Langermann: "إنه على الرغم من أن كتابات ابن كمونة لا تخون يهوديته إلا أنها تقرأ مثل عمل مسلم متدين"[1]. فرغم أن ما يميز المفكر والفيلسوف اليهودي، رغم التأثر بالفلسفات والثقافات الأخرى، هو أنه يصدر عن اليهودية كعقيدة، بحيث يظل يهوديا في تفكيره وإن لم يكتب في اليهودية، أو أنه رغم ما يبدو من أممية فلسفته يظل يهوديا جدا على نحو ما، أو يظل فيه شيء من جوهر الحياة اليهودية والفكر اليهودي[2]. رغم ذلك فإنه يمكن القول إن ابن كمونة قد خرم هذه القاعدة وهذا العرف بين فلاسفة اليهود، فلا تكاد تشم في فلسفته عقيدة يهودية يصدر عنها، أو خلفية إيديولوجية ينطلق منها.

وفيما يلي مظاهر وتجليات تأثر ابن كمونة بالفكر والثقافة العربية الإسلامية:

1. ترديد عبارات الثناء على الله تعالى ودعاؤه، والصلاة والسلام على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، كما هي عادة علماء المسلمين في مقدمات مؤلفاتهم وخواتيمها

كان ابن كمونة يبدأ مؤلفاته بالبسملة، والحمد، والثناء على الله تعالى بما هو أهله، ودعائه بأسمائه وصفاته، بل أكثر من ذلك، بالصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه، ويختمها غالبا بذلك عدا البسملة. نجد ذلك في أغلب مقدمات كتب ابن كمونة وخواتمها. وكان هذا دأب علماء المسلمين في مقدمات مؤلفاتهم وخواتمها، بل إننا نجد ابن كمونة يفعل ذلك موظفا المحسنات البديعية المختلفة التي كان يستخدمها علماء المسلمين، من سجع وجناس وطباق ومقابلة. وهذا أمر لم نجده عند غيره من علماء اليهودية وفلاسفتها الذين وقفنا على مؤلفاتهم، والذين عاشوا هم كذلك في رحاب الإسلام وتأثروا بفلاسفته، بحيث خلت كتب أكثرهم وأشهرهم من هذا الثناء والدعاء والصلاة على النبي. فيهودا هاليفي مثلا يشرع في سرد مضامين كتابه "الحجة والدليل في نصرة الدين الذليل" مباشرة ودون مقدمة[3]. والقرقساني كذلك يفعل الأمر نفسه فيشرع

[1] "Though his writings as a rule do not betray his Judaism - if anything, they read like the work of a devout, if philosophically inclined, Muslim". Tzvi Langermann, Ibn Kammūna, article in Stanford Encyclopedia of Philosophy, www.plato.stanford.edu, accessed on Oct. 12, 2022.

[2] الحفني، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، ص 5.

[3] يبدأ الكتاب بـ: "قال يهودا بن شاؤول طيب الله ذكره، قال المؤلف: سئلت عما لدي من حجج وردود على من يختلفون معنا من الفلاسفة وأصحاب الشرائع، وعلى الفرق التي تخالف جمهور بني إسرائيل، فذكرت ما كنت قد سمعته من حجج الحبر الذي كان عند ملك الخرز الذي دخل دين اليهود منذ أربعمائة عام كما ذكر...". هاليفي، الحجة والدليل في نصرة الدين الذليل، ص 125.

IJTIHAD JOURNAL
for Islamic and Arabic Studies
ISSNe: 3041-4679
ISSN: 2983-9939

Volume 1 - Issue 2, June - December 2024
مجلد 1 - عدد 2، يونيو – ديسمبر 2024

في سرد مقالات كتابه "الأنوار والمراقب" وأبوابه مباشرة[1]. أما موسى بن ميمون فاستهل كتابه "دلالة الحائرين" بأربع كلمات هي: "بسم الله رب العالم"[2]. ولعل الأمر ينطبق على باقي فلاسفة ومفكري اليهود، والذين حتى وإن وجدت المقدمات في كتبهم، فإنه من المستبعد تماما أن تحوي ما حوت مقدمات ابن كمونة من ثناء على الله تعالى ودعائه، والأهم من ذلك، من صلاة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

ونورد هنا أمثلة من هذه العبارات في مقدمات كتب ابن كمونة وخواتمها، من ذلك مثلا قوله في مقدمة كتابه "الجديد في الحكمة": "أحمد الله تعالى حمدا يقرب إلى جنابه الكريم، ويوجب المزيد من فضله وإحسانه، وأستغفره استغفارا يؤمن من عقابه الأليم، ويخلد في الفردوس الأعلى من جنانه، وأسأله الهداية إلى صراطه المستقيم، بإلهام الحق وإنارة برهانه. وأن يصلي على من بالملأ الأعلى، الحافين من حول العرش العظيم، وعلى المصطفين لإظهار التوحيد وإعلانه"[3]. وقوله في خاتمة كتابه "شرح التلويحات": فأسألك اللهم يا من لا يخيب قاصده، ولا يضل مسترشده، أن تعضدني بإدرار عنايتك، وترشدني بأنوار هدايتك. وأن تحشرني مع الذين زينت قلوبهم بالتقوى، فتمسكوا بالسبب الأقوى، فارتفعوا عن حضيض الشقاوة والبلوى، فاتصلوا بمحل السعادة القصوى، برحمتك يا أرحم الراحمين ويا أكرم الأكرمين. والحمد لله رب العالمين، وصلواته على نبي الرحمة سيدنا محمد وآله أجمعين"[4]. وقوله في مقدمة كتابه "كلمات وجيزة مشتملة على نكت لطيفة في العلم والعمل": "أحمد الله على حسن توفيقه لما يتنزل من السفر إليه منزلة

[1] يقول القرقساني: "يشتمل هذا الكتاب على أربعمائة وستة وتسعين بابا، وقد شرحت أبواب كل مقالة في صدرها، وأردت أن أشرحها ها هنا أيضا، فكرهت التطويل، وانا الآن أشرح أبواب المقالة الأولى، وهي تسعة عشر بابا". القرقساني (أبو يوسف يعقوب)، الأنوار والمراقب تح حسين عبد البديع حسين، مراجعة ودراسة أحمد محمود هويدي، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2019، ص 27.

[2] يقول ابن ميمون في بداية كتابه: "بسم الله رب العالم. كنت أيها التلميذ العزيز الربي يوسف، صانك الصخرة، ابن الربي يهودا سكنت نفسه جنة عدن، لما مثلت عندي، وقصدت إلي من أقاصي البلاد للقراءة علي، عظم شأنك عندي لشدة حرصك على الطلب." ابن ميمون موسى القرطبي، دلالة الحائرين، ص 3.

[3] ابن كمونة، الجديد في الحكمة، ص 145.

[4] ابن كمونة (عز الدولة سعد بن منصور)، شرح التلويحات اللوحية والعرشية، م 3 الإلهيات، حققه وقدم له نجفقلي حبيبي، ط2، مركز البحوث والدراسات للتراث المخطوط، طهران، 2012، ص 563.

التقدم بالإعداد للراحلة والزاد، وأسأله هداية طريقه حتى لا أضل في شعبها المتوعرة عن سنن الرشاد كما ضل كثير من العباد... وأن يصلي على المصطفين من عباده لرسالته خصوصا على محمد وآله وعترته"[1].

ولعلنا نقارن عبارات ابن كمونة هاته، بما ورد في مقدمات كتب علماء وفلاسفة المسلمين، لنلاحظ ذلك التشابه الواضح بين الطرفين في طريقة التعبير وفي مضمون التعبير أيضا، والذي يبدو أكثر وضوحا مع هؤلاء الفلاسفة الذين تأثر بهم ابن كمونة كابن سينا (ت427هـ) والرازي (ت311هـ) والكاتبي (توفي 675هـ). يقول الرازي مثلا في مقدمة كتابه "المحصل": "الحمد لله المتعالي بجلال أحديته عن مشابهة الأعراض والجواهر، المقدس بعلو سرمديته عن مناسبة الأوهام والخواطر، المستغني بكمال قدرته عن معاضدة الأشباه والنظائر. والصلاة على المبعوث إلى الأصاغر والأكابر، والشفيع المشفع في الصغائر والكبائر، وعلى آله واصحابه وسلم تسليما كثيرا"[2]. ويقول الكاتبي في أسئلته على كتاب المعالم للرازي: "بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين، الحمد لله المتفرد بالجلال المتوحد بالعظمة والكمال، والصلاة على محمد كاشف الدين، الهادي إلى الحق اليقين، وعلى آله الطاهرين المتقين، وأصحابه الكاملين الأكرمين"[3]. ويقول ابن سينا في مقدمة كتابه "النجاة": "أما بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة والسلام على أنبيائه الذين هم عبيده ورسله، وعلى سائر خاصته الذين نالهم من كرمه أفضله وأجله، وأغرقهم إحسانه وجوده وفيضه وفضله"[4].

إن ما قام به ابن كمونة في مقدمات كتبه وخواتمها، يعكس بقوة – حسب المسيري - طابع الثقافة الإسلامية التي كان المسلمون يبدأون بها مؤلفاتهم[5]، ولا يدل على تأثره العميق بالفكر الإسلامي فقط، بل يدل كذلك على اعتزازه بهذا الفكر وافتخاره بالكتابة على منواله، فترك لقلمه الحرية ليعبر عما يخالجه ويكنه من حب ووفاء لهذا الفكر، ولم يأبه لردود فعل بني جلدته، ولاحتمال اتهامهم إياه بالتحول عن دينه

[1] ابن كمونة (عز الدولة سعد بن منصور)، شرح الأصول والجمل في مهمات العلم والعمل، تصحيح وتحقيق وتقديم محمد ملكى – مرضيه نور صفت، ط1، مؤسسة ميراث مكتوب، طهران، 1399هـ، ص 3.

[2] الرازي فخر الدين، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، راجعه وقدم له طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، (بلا تاريخ)، ص 15.

[3] ابن كمونة (عز الدولة سعد بن منصور)، أسئلة نجم الدين الكاتبي عن المعالم لفخر الدين الرازي مع تعاليق عز الدولة ابن كمونة، تحقيق ومقدمة صابرين شميدتك ورضا بورجافادي، مؤسسة حكمة وفلسفة إيران، طهران، 1386هـ، ص 11.

[4] ابن سينا (أبو علي الحسين)، النجاة (في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية)، ط2، المكتبة المرتضوية، 1938، ص2.

[5] عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1999، 3/ 480.

اليهودي. ولعل هذه العبارات التي توحي لقارئها بأن كاتبها مسلم وليس يهودي، هي ما يفسر الإهمال الذي طال هذا الفيلسوف اليهودي من قبل المؤرخين والكتاب اليهود طيلة قرون من الزمن تلت وفاته، بحيث اعتبروه – حسب تعبير المؤرخ والمستشرق اليهودي ليون نموي Leon Nemoy (1901 – 1997) – غير جدير بالذكر[1]. قبل أن ينتبه إليه المستشرقون ويخرجوه من ظلمة الإهمال وعدم العناية إلى نور البحث والدراسة.

2. تبني الأشعرية كمذهب فكري خلافا لأغلب المفكرين اليهود

من الأمور المعروفة والثابتة في الوسط العلمي بين الباحثين هو أن أغلب المفكرين والفلاسفة اليهود قد تأثروا بالاعتزال خاصة وتبنوه كمذهب فكري، وأخذوا عن أصحابه ما أخذوا، وخاصة القرائين منهم، في حين نجد القلة القليلة التي من تبنت الأشعرية وبنت على منوالها في القضايا الكلامية. وقد اعترف بهذه الحقيقة واحد من أعظم فلاسفة اليهود، وهو موسى بن ميمون، يقول في كتابه "دلالة الحائرين": "أما هذا النزر اليسير الذي تجده من الكلام في معنى التوحيد وما يتعلق بهذا المعنى لبعض الجاؤونيين وعند القرائين، فهي أمور أخذوها عن المتكلمين من الإسلام، وهي نزرة جدا بالإضافة إلى ما ألفته فرق الإسلام في ذلك. واتفق أيضا أن أول ابتداء بهذه الطريقة كانت فرقة ما، وهم المعتزلة، فأخذوا عنهم أصحابنا ما أخذوا، وسلكوا في طريقهم. وبعد ذلك بمدة، حدثت في الإسلام فرقة أخرى، وهم الأشعرية، وحدثت لهم آراء أخرى، لا تجد عند أصحابنا من تلك الآراء شيئا، لا لأنهم اختاروا الرأي الأول على الرأي الثاني، بل لما اتفق أن أخذوا الرأي الأول، وقبلوه وظنوه أمرا برهانيا"[2]. فابن ميمون يرى أن سبب اختيار اليهود لمذهب الاعتزال راجع إلى سبقه الزماني ظهورا وانتشارا، وإلى اعتقاد اليهود أن ما جاء به هذا المذهب أمر برهاني لا يقبل النقض والمعارضة.

ولكن ابن كمونة – كما ذهب إلى ذلك سعيد الغانمي - وخلافا لهؤلاء المفكرين اليهود، وخلافا كذلك لأغلب المفكرين الإسلاميين الذين عاشوا في أواخر العصر العباسي وبداية العصر المغولي، ممن تبنوا الاعتزال صراحة، قد وقف على الطرف الأقصى وتبنى الأشعرية موقفا فكريا. على أن هذا الموقف من

[1] "No Jewish author seems to have consider-ed him worthy of mention." Leon Nemoy, Ibn Kammūna Treatise on the Differences between the Rabbanites and the Karaites, University of Pennsylvania Press, The Jewish Quarterly Review, Vol. 63, No. 2 (Oct. 1972), p 97.

[2] ابن ميمون، دلالة الحائرين، ص 180.

الأشعرية – يضيف الغانمي – لا يعني التطابق معها دائما، فربما وجدت تفصيلات معينة يختلف بها مع الأشاعرة. والحق أنه يتفق مع الأشاعرة بقدر ما يتعلق الأمر بالموقف العام من الميتافيزيقا أو ما وراء الطبيعة، وكثيرا ما يتحفظ على آرائهم في المواقف المتعلقة بالمعاملات الاجتماعية والفقهية[1].

ويتضح تأثره بالأشعرية، ولا سيما كما تقدمها مدرسة الإمام فخر الدين الرازي، في كونه كرس عملا كاملا لمناقشة كتاب "المعالم" للرازي، والرد على أسئلة نجم الدين الكاتبي في اعتراضاته على الكتاب. بل إن أغلب القضايا المطروحة في كتاب "التنقيح"، بما فيها الشبهات المثارة حول الإسلام، هي من الموضوعات التي أثارها الإمام فخر الدين الرازي في كتبه مثل "المعالم" و "المحصل" و "المطالب العلية"[2].

3. التشبع بالفلسفة الإسلامية وتمثل كلام وآراء و أفكار فلاسفة الإسلام ومتكلميه

تشبع ابن كمونة بالفلسفة الإسلامية، وتمثلها في كتاباته وشرح آثار عدد من كبارها لدرجة تخاله واحدا من أساطينها. ومن يقرأ كتابه "الجديد في الحكمة" مثلا، يظن أنه يقرأ أثرا لفيلسوف إسلامي من مدرسة ابن سينا والإشراق. وفي فلسفته الخاصة بالصمت وحفظ الحواس يبدو متأثرا بالتصوف الإسلامي، حتى إنه في مقاربته لهذا الموضوع كان متصوفا يحكي[3].

هذا التشبع الكبير بالفلسفة الإسلامية جعل ابن كمونة يتمثل أفكار وآراء فلاسفة الإسلام ومتكلميهم الذين تأثر بهم وبفكرهم، ويضمنها في كتبه، مغيرا تارة في الألفاظ والتراكيب، ومحافظا تارة أخرى على نفس الألفاظ والتراكيب. والناظر في كتبه من أهل الاختصاص في الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام لن يغيب عنه هذا الملحظ، وسيدرك بسهولة كمية الاقتباسات الكبيرة في كتب ابن كمونة من مؤلفات هؤلاء الفلاسفة والمتكلمين المسلمين. وهو ما حدث فعلا من قبل مجموعة من الباحثين الذين حققوا كتبه، أو أجروا دراسات حول فكره، فجميعهم أشاروا إلى هذه القضية، ومنهم من أكدها من خلال المقارنة بين عبارات ابن كمونة في مؤلف معين، وعبارات فلاسفة المسلمين في كتبهم.

[1] ابن كمونة، التنقيح، تح الغانمي، مقدمة المحقق، ص 10.

[2] المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص 10.

[3] صليبا، كتاب قتل كاتبه، ص 15 – 16.

يقول حاجي خليفة مثلا، معرفا بكتاب "شرح الأصول والجمل من مهمات العلم والعمل": "أتى فيه بجميع ألفاظ الرئيس، من غير إخلال، إلا بما هو لضرورة اندراج الكلام، ومزج ما التقطه من كتب الحكماء، ومن شرح العلامة نصير الدين، وما استنبطه بفكره، مزجا غير مميز، فصار كتابا كالشرح للإشارات. وسماه: شرح الأصول والجمل، من مهمات العلم والعمل"[1]. ويقول عبد الوهاب المسيري معلقا على كتاب "الجديد في الحكمة": "ويُعدُّ الجديد في الحكمة أحد أهم المؤلفات الفلسفية ذات الطابع الديني في القرن السابع الهجري. ولا يحمل الجديد في الحكمة أي جديد مخالف لما قرره العلماء المسلمون السابقون على ابن كمونة، وبخاصة متكلمو المعتزلة والأشاعرة، فهو يكاد يلخص أقوالهم، أو بالأحرى: ينتقي من أقوالهم أشهرها"[2]. وقد أشار محقق كتاب "الجديد في الحكمة" حميد مرعيد الكبيسي في تعليقاته على متن الكتاب إلى بعض هذه الاقتباسات والنقول من كتب علماء المسلمين. ومن أمثلة ذلك تعريف ابن كمونة للحكمة حيث قال: "ومن الظاهر أن ذلك لا يتم تحصيله على الوجوه اليقينية لا الظنية، وبالطرق البرهانية لا التقليدية، إلا بعلم الحكمة الذي هو استكمال النفس الإنسانية بتحصيل التصورات والتصديقات بالحقائق النظرية والعلمية وعلى حسب الطاقة البشرية". وهو ما يتفق حسب مرعيد الكبيسي مع تفسير ابن سينا للحكمة إذ قال: "الحكمة صناعة يستفيد بها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود كله في نفسه، وما عليه الواجب مما ينبغي أن يكسبه فعله، لتشرف بذلك نفسه وتستكمل، وتصير عالما معقولا، مضاهيا للعالم الموجود، تستعد للسعادة القصوى بالآخرة، وذلك بحسب الطاقة الإنسانية"[3]. ومن أمثلته أيضا تعريف ابن كمونة للمنطق، حيث قال: "المنطق قانون يعلم به صحيح الفكر وفاسده، ونسبته إلى الروية نسبة العروض إلى الشعر، والإيقاع إلى أزمنة الألحان. ويستغني عنهما بفطرته كثير من الناس، ولا يكاد يستغني عن هذا القانون إلا المؤيدون بهداية ربانية، وقليل ما هم، لكن الذين لا يهتدون بهذا القانون لبلادتهم كثيرون". وقد علق عليه الكبيسي بقوله: "يتضح هنا مدى اتباع ابن كمونة لابن سينا في تحديد معنى المنطق. يقول ابن سينا في النجاة: "صناعة المنطق نسبتها إلى الروية نسبة النحو إلى الكلام والعروض

[1] خليفة حاجي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1941، 81/1.

[2] المسيري عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية، 3/ 262.

[3] ابن كمونة، الجديد في الحكمة، ص 146.

إلى الشعر، لكن الفطرة السليمة والذوق السليم وبما أغنيا عن تعلم النحو والعروض، وليس شيء من الفطرة الإنسانية بمستغن في استعمال الروية عن التقدم بإعداد هذه الآلة، إلا أن يكون مؤيدا من عند الله تعالى"[1]. ومن ذلك أيضا تعريف ابن كمونة للجوهر: "هو ما قام بذاته". حيث قال الكبيسي إن هذا التعريف للجوهر ورد عند الأشعري في مقالات الإسلاميين[2].

وكان لويس صليبا من أبرز الباحثين الذين تتبعوا أقوال وأراء ابن كمونة في كتابه "التنقيح"، وخاصة في القسم الأول منه، والمتعلق بالنبوة، وقارن بينها وبين أقوال متكلمي المسلمين وآرائهم، فوجدها لا تخرج عنها، حيث قال إن الباب الأول من "التنقيح" (أي باب النبوة) لا يعدو تجميعا لنصوص في النبوة أخذت من الغزالي وابن ميمون وابن سينا والفخر الرازي، ومن دون أي إشارة إلى واحد من هؤلاء. فابن كمونة يبدأ كتابه بنقل مباشر وحرفي عن الغزالي في المنقذ من الضلال، ومن دون التصريح بذلك، لينتقل إلى الأخذ عن ابن سينا في النجاة، بعدها تناول خواص النبوة نقلا عن الغزالي في مقاصد الفلاسفة[3]. ومن الأمثلة التي ذكرها صليبا لنقول ابن كمونة عن فلاسفة الإسلام في كتابه "التنقيح"، حديث ابن كمونة عن أول ما يخلق في الإنسان وعن تطور حواسه، حيث قال: "فأول ما يخلق فيه هو الحواس الخمس الظاهرة وهي: اللمس، والذوق، والشم، والسمع، والبصر، فيدرك بلمسه أجناسا من الموجودات، كالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة وغيرها، ويدرك بكل واحدة من سائر هذه الحواس أجناسا أخرى، كالطعوم والأرايح والأصوات والألوان، وكل واحدة منها قاصر على إدراك مدرك الآخر، بل مدركات كل واحد منها كالمعدومة في حق باقيها، كالألوان عند اللمس، والأصوات عند الشم. وإذا تجاوز عالم المحسوسات خلق فيه التمييز، وهو طور آخر من أطوار وجوده يدرك فيه ما لا يوجد عند الحس الظاهر، وذلك هو الذي يكون له عندما يبلغ من العمر قريب من سبع سنين. ثم يرقى إلى طور آخر هو العقل[4]. وقد ذكر صليبا أن كلامه هذا مأخوذ عن الغزالي في "المنقذ من الضلال": "فأول ما يخلق في الإنسان حاسة اللمس، فيدرك بها أجناساً من الموجودات: كالحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، واللين، والخشونة، وغيرها. واللمس قاصر عن

[1] المصدر نفسه، ص 151.

[2] نفسه، ص 255.

[3] صليبا، كتاب قتل كاتبه، ص 191.

[4] ابن كمونة، التنقيح، ص 39 – 40.

IJTIHAD JOURNAL
for Islamic and Arabic Studies
ISSNe: 3041-4679
ISSN: 2983-9939

Volume 1 - Issue 2, June - December 2024
مجلد 1 - عدد 2، يونيو – ديسمبر 2024

الألوان والأصوات قطعاً، بل هلي كالمعدوم في حس اللمس. ثم تخلق له حاسة البصر، فيدرك بها الألوان والأشكال، وهو أوسع عالم المحسوسات. ثم ينفتح له السمع، فيسمع الأصوات والنغمات، ثم يخلق له الذوق. وكذلك إلى أن يجاوز عالم المحسوسات، فيخلق فيه التمييز، وهو قريب من سبع سنين، وهو طور آخر من أطور وجوده. فيدرك فيه أموراً زائدة على عالم المحسوسات، ولا يوجد منها شيء في عالم الحس. ثم يترقى إلى طول آخر، فيخلق له العقل[1]. ومن ذلك أيضا حديث ابن كمونة عن الصور التي يراها الأنبياء في المنام، حيث قال صليبا إنه نقلها عن الفارابي في كتابه "آراء أهل المدينة الفاضلة"[2].

وإلى نفس الأخذ والنقل والتمثل أشار لانجرمان بقوله: "تحمل كتاباته (أي ابن كمونة) بصمة ابن سينا"[3]. وكذلك الباحثان بورجافادي وشميدتك، الذين قالا إن ابن كمونة كان مطلعا على كتابات أبي حامد الغزالي وفخر الدين الرازي، واستخدمها على نطاق واسع. وفي كتابيه "كلمات وجيزة" و"إثبات المبدأ"، قدم بعض النصائح الأخلاقية التي يبدو أنه أعاد صياغتها من كتاب الغزالي "إحياء علوم الدين"[4].

والملاحظ أن ابن كمونة نفسه يشير إلى اقتباساته وأخذه عن غيره في عدد من مقدمات وخواتم كتبه. يقول مثلا في مقدمة كتابه "الجديد في الحكمة": "فعملت هذا الكتاب في أثناء ما قد ألجئت إليه من ملابسة الأمور الدينية والشواغل الدنيوية، مشتملا مع اختصاره، على مهمات المطالب، وأمهات المسائل، متضمنا مع الزيادات التي من قبلي، لخلاصة أفكار الأواخر، وألباب حكمة الأوائل"[5]. ويقول في خاتمة كتابه "اللمعة الجوينية": "فهذا ما رأيت أن أذكره من الفوائد على حكم ما اقتضت الحال الحاضرة، وأكثره يلتقط من

---

[1] الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد)، المنقذ من الضلال، دار الكتب الحديثة، مصر، ص 180 – 181.

[2] صليبا، كتاب قتل كاتبه، ص 319. لم يكن لويس صليبا أول من انتبه إلى هذا الكم الكبير من النقول والاقتباسات في كتاب "التنقيح"، بل سبقه إلى ذلك كل من تناول ابن كمونة أو كتابه هذا بالبحث والدرس، بدءا من المحقق الأول للكتاب موشي برلمان، ثم المحقق الثاني علينقي منزوى، إلا أنه يحسب لصليبا رجوعه للكتب التي نقل منها ابن كمونة، وإثباته لنصوصها في هوامش تحقيقه، ما جعل عملية المقارنة بين نصوص ابن كمونة ونصوص العلماء الذين نقل عنهم سهلة وواضحة.

[3] "His writings exhibit the imprint of Ibn Sina." Tzvi Langermann, The Soul in Ibn Kammūna Kalimat Wajıza, Nazariyat Journal for the History of Islamic Philosophy and Sciences 3/1 (November 2016): 23-42, p 24.

[4] "Ibn Kammūna was also familiar with, and made extensive use of, the writings of Abū Hāmid al-Ghazzālī, and Fakhr al- Dīn al-Rāzī. Moreover, in his Kalimāt wajīza and Ithbāt al-mabdaa Ibn Kammūna adduced some pieces of moral advice which he seems to have paraphrased from Ghazzālī's Ihyāa oulÖm al-dīn." Pourjavady and Schmidtke, A Jewish Philosopher of Baghdad, p 27.

[5] ابن كمونة، الجديد في الحكمة، ص 147.

كلام من تقدم، إنما الأقل النزر هو الذي أدركته بفكري أو سنح لخاطري"[1]. ويقول كذلك في مقدمة كتابه "المطالب المهمة من علم الحكمة": "... وبعد فهذا الكتاب أوردت فيه المهم من المطالب الحكمية وما ينفع به، جامعا في ذلك بين ما حصلته بنظري وهو الأقل، وبين غيره مما تحققت صحته وهو الأكثر"[2].

4. استخدام اللغة العربية في الكتابة والتصنيف

من عادات الكتابة والتأليف التي كانت متداولة بين الكتاب اليهود في العصور الوسطى، التدوين باللغة العربية، ولكن بالحرف العبري، فتخال الكتاب عبري اللغة، ولكن عند القراءة يتبين أنه عربي اللغة ولكنه مكتوب بالحرف العبري. وقد كانت هذه طريق الكتابة والتأليف – حسب إسرائيل ولفنسون – عند أغلب علماء اليهود في الأندلس ومصر[3]. وتسمى هذه العادة ب "الكرشوني"، وقد يكون أحد أسبابها اتقاء أي ملاحقة أو اضطهاد محتمل[4].

ومن أشهر الكتب التي ألفت بهذه الطريقة، كتاب "دلالة الحائرين" لابن ميمون وغيرها من كتبه ورسائله الأخرى، وكتاب "الهداية إلى فرائض القلوب" لابن فاقودة، وكتاب "الحجة والدليل في نصرة الدين الذليل" ليهودا هاليفي.

وهذا لا يعني أن كل علماء وفلاسفة اليهود قد دونوا كتبهم بهذه الطريقة، بل وجد عدد كبير منهم اعتمد اللغة العربية أداة رئيسة في التأليف، فكتب بها جل مصنفاته تقريبا، ومن أشهر هؤلاء نجد ابن كمونة الذي ألف كل كتبه - حسب علينقي منزوى - باللغة العربية باستثناء كتابي "التنقيح" و"الربانيين والقرائين"، اللذين ألفهما باللغة العربية، ولكن بحروف عبرية[5].

لقد كان ابن كمونة حفيا باللغة العربية، متقنا لها، مجيدا لقواعدها، ضابطا لأساليب بلاغتها، ومقدمات وخواتيم كتبه التي سبق الإشارة إلى كثير منها، شاهد على ذلك. كتب بها جميع مصنفاته باستثناء الكتابين السابقي الذكر. ولا شك أن استخدام اللغة العربية في التصنيف من قبل ابن كمونة، بخلاف ما

[1] Pourjavady and Schmidtke. A Jewish Philosopher of Baghdad, p 97.
[2] Ibid., p 92.
[3] إسرائيل ولفنسون، موسى ابن ميمون، حياته ومصنفاته، ص ك.
[4] صليبا، كتاب قتل كاتبه، ص 220.
[5] ابن كمونة، التنقيح، تحقيق منزوى، مقدمة المحقق، ص 18.

كان شائعا بين الكتاب اليهود في عصره، ومع قدرته على استخدام اللغة العبرية، أو على الأقل الحرف العبري كما فعل في كتابيه "التنقيح" و"القرائين والربانيين"، يعد من أبرز مظاهر تأثره بالفكر الإسلامي.

5. قرض الشعر على سنن الشعراء العرب المسلمين شكلا ومضمونا

لم يصلنا الشيء الكثير من شعر ابن كمونة، فقط ثلاثة أبيات ذكرها له ابن الفوطي في معجمه، وقصيدة صغيرة ذكرها بورجافادي وشميدتك. ورغم ذلك، فإن ذاك القليل الذي وصلنا يؤكد لنا أن ابن كمونة كان ينظم الشعر، حتى إن ابن الفوطي وصفه بالأديب[1]، والأهم من ذلك أنه كان ينظمه وفق سنن شعراء العربية والإسلام في نظم الشعر، سواء من حيث الشكل من خلال اعتماد نظام الشطرين، والالتزام بالبحر والقافية والروي، أو من حيث المضمون من خلال التطرق لمواضيع الحكمة والأخلاق والزهد، حتى إن القارئ لشعره يحسب أنه يقرأ لأحد شعراء الحكم المسلمين مثل أبي العتاهية، وإن كان لا يجاريهم من حيث الشاعرية.

ومن المعلوم أن الشعر العبري القديم قبل تأثر الشعراء اليهود بالشعر العربي في العصور الوسطى، وقرضهم الشعر على منواله، كان يختلف كثيرا عن الشعر العربي، سواء من حيث الشكل أو المضمون. فهو من حيث الشكل لا يتقيد بوزن أو قافية أو روي، وإنما يعتمد نظام الفقرات[2] وقانون التقابل والتوازي[3]. ومن حيث المضمون يركز على الشعر الديني، دون غيره من المواضيع. كما أن الناظم العبري لا يهدف إلى سبك الألفاظ وتنسيق العبارات، بل هدفه الأساس هو المعاني، فهو يسعى إلى أن يوصلها للذهن بأوجز طريق وأجمل أسلوب[4].

---

[1] يقول ابن الفوطي: "هو عز الدولة أبو الرضا سعد بن نجم الدولة منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الله بن كمونة الاسرائيلي البغدادي الحكيم الأديب". ابن الفوطي، مجمع الآداب في معجم الألقاب، 1/ 190.

[2] الفقرة الشعرية عبارة عن عدد معين من الأبيات التي تنطوي على معنى تام، وتسير على ترتيب خاص، وتكون أقسام القصيدة بتكرارها المنتظم. ألفت محمد جلال، الأدب العبري القديم والوسيط، مطبعة جامعة عين شمس، 1978، ص 23.

[3] ينقسم فيه البيت إلى شطرين متوازيين متعادلين متقاربين في المعنى مثلما جاء في سفر المزامير:

الرب نوري وخلاصي مما أخاف

الرب حصن حياتي مما أرتعب

ألفت محمد جلال، الأدب العبري القديم والوسيط، ص 24.

[4] المرجع نفسه، ص 25.

IJTIHAD JOURNAL
for Islamic and Arabic Studies
ISSNe: 3041-4679
ISSN: 2983-9939

Volume 1 - Issue 2, June - December 2024
مجلد 1 - عدد 2، يونيو – ديسمبر 2024

وقد ذكر ابن الفوطي نموذجا من شعر ابن كمونة حين ترجم له في كتابه "مجمع الآداب في معجم الألقاب"، حيث ذكر أنه راسله ملتمسا شيئا من فوائده ليطرز بها كتابه، فكتب ابن كمونة إليه شعرا ينصحه فيه[1]:

صن العلم عن أهل الجهالة دائما /// ولا توله من لا يكون له أهلا

فيورثه كبرا ومقتا وشرّة /// ويقلبه النقصان من عقله جهلا

فكن أبدا من صونه عنه جاهدا /// ولا تطلبن الفضل من ناقص أصلا

أما النموذج الثاني من شعر ابن كمونة فقد ذكره الباحثان بورجافادي وشميدتك في كتابهما حول ابن كمونة ومؤلفاته، وهو عبارة عن قصيدة في الحكم والزهد في الدنيا، قال فيها[2]:

تحصنت من وقع الخطوب بخالقي وذلك حصن للمحق حصين

وقطعت أطماعي عن الناس كلهم فوجهي عنهم ملفت ومصون

وما أنا بالدنيا ضنين وإنما بديني وعرضي والحياء ضنين

ركنت إلى دار الخلود وليس لي إلى زخرف الدنيا المضل ركون

إذا حصل القوت المقيم لبيتي فترك فضول العيش بعد يهون

ولم أرج إلا من وثقت بأنه لقوتي وقوت العالمين ضمين

تكفل للطفل الرضيع رزقه وغذاه في الأحشاء وهو جنين

فإن كنت أنحو مقصدا عن بابه فذاك جنون والجنون فنون

[1] ابن الفوطي، مجمع الآداب في معجم الألقاب، ج 1، ص 190.

[2] Pourjavady and Schmidtke. A Jewish Philosopher of Baghdad, p 224.

خاتمة

نخلص من خلال ما سبق بيانه إلى القول إن ابن كمونة يعد من أكثر مفكري اليهود تأثرا بالفكر الإسلامي، تأثرٌ تعددت مظاهره وتنوعت حتى لكأنا أمام مسلم وليس يهودي. فمقدمات كتبه وخواتمها لا تختلف عن مقدمات وخواتم كتب علماء الإسلام، سواء من حيث المضمون أو الشكل، بل إنه اليهودي الوحيد حسب علمنا، الذي أدرج الصلاة والسلام على نبي الإسلام في تلك المقدمات والخواتم. وكتبه تفيض بأقوال وأراء فلاسفة الإسلام، حتى إن القارئ لها دون علم بعقيدة صاحبها، لا يشك أن صاحبها مسلم وليس يهودي. وتظهر الأشعرية واضحة جلية في آرائه وأفكاره. كما أن أغلب كتبه مؤلفة باللغة العربية بخلاف أكثر مفكري اليهود، أضف إلى ذلك قرضه للشعر على سنن العرب. وهذا ما يجعلنا نقول إنه بالرغم من يهودية ابن كمونة، فإنه يعد واحدا من ممثلي الفلسفة الإسلامية، بل يمكن أن ندرجه ضمن فلاسفة الإسلام، على غرار ما فعل الشيخ مصطفى عبد الرازق مع موسى بن ميمون حين اعتبره واحدا من فلاسفة الإسلام.

لائحة المصادروالمراجع

المصادروالمراجع العربية

- ابن الأثير (أبو الحسن علي)، الكامل في التاريخ، تح. عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997.
- ابن الفوطي (الشيباني كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تح. سهدي النجم، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 2002.
- ابن الفوطي (الشيباني كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد)، مجمع الآداب في معجم الألقاب، تح. محمد الكاظم، ط1، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، 1416هـ.
- ابن سينا (أبو علي الحسين)، النجاة (في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية)، ط2، المكتبة المرتضوية، 1938.

- ابن كمونة (عز الدولة سعد بن منصور)، أسئلة نجم الدين الكاتبي عن المعالم لفخر الدين الرازي مع تعاليق عز الدولة ابن كمونة، تحقيق ومقدمة صابرين شميدتك ورضا بورجافادي، مؤسسة حكمة وفلسفة إيران، طهران، 1386هـ.
- ابن كمونة (عز الدولة سعد بن منصور)، الجديد في الحكمة، دراسة وتحقيق حميد مرعيد الكبيسي، مطبعة جامعة بغداد، 1982.
- ابن كمونة (عز الدولة سعد بن منصور)، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، عنى بنشره موسى برلمان، من مطبوعات جامعة كاليفورنيا، 1967.
- ابن كمونة (عز الدولة سعد بن منصور)، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، قدم له وعلق عليه وحققه سعيد الغانمي، ط1، منشورات الجمل، بغداد، بيروت، 2013.
- ابن كمونة (عز الدولة سعد بن منصور)، شرح الأصول والجمل في مهمات العلم والعمل، تصحيح وتحقيق وتقديم محمد ملكى – مرضيه نور صفت، ط1، مؤسسة ميراث مكتوب، طهران، 1399هـ.
- ابن كمونة (عز الدولة سعد بن منصور)، شرح التلويحات اللوحية والعرشية، م 3 الإلهيات، حققه وقدم له نجفقلي حبيبي، ط2، مركز البحوث والدراسات للتراث المخطوط، طهران، 2012.
- ابن ميمون (موسى أبو عمران القرطبي الأندلسي)، دلالة الحائرين، عارضه بأصوله العربية والعبرية وترجم نصوصه العبرية حسين أتاي، مكتبة الثقافة الدينية، (بلا تاريخ).
- أحمد شحلان، ابن رشد والفكر العبري الوسيط، ط1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1999.
- أحمد شحلان، التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي، التسامح الحق، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2006.
- إسرائيل ولفنسون، موسى ابن ميمون، حياته ومصنفاته، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
- ألفت محمد جلال، الأدب العبري القديم والوسيط، مطبعة جامعة عين شمس، 1978.
- خليفة حاجي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1941.

- الرازي فخر الدين، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، راجعه وقدم له طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، (بلا تاريخ).
- سعيد كفايتي، الإسلام والأديان، مركزية الإنسان وسيادة ثقافة السلم، ط1، دار خطوط وظلال للنشر والتوزيع، عمان، 2023.
- صليبا لويس، كتاب قتل كاتبه، دراسة تعليق وتحقيق ل: تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، تأليف سعد بن منصور بن كمونة، ط2، دار ومكتبة ببليون، جبيل لبنان، 2010.
- عبد الحميد الحمد، دور اليهود العرب في الحضارة الإسلامية، ط1، حقوق الطبع للمؤلف، 2006.
- عبد المنعم الحفني، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، مكتبة مدبولي، (بلا تاريخ).
- علي سامي النشار، الشربيني عباس أحمد، الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1972.
- الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد)، المنقذ من الضلال، دار الكتب الحديثة، مصر، (بلا تاريخ)
- القرقساني (أبو يوسف يعقوب)، الأنوار والمراقب، تح. حسين عبد البديع حسين، مراجعة ودراسة أحمد محمود هويدي، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2019.
- هاليفي (يهودا بن شموئيل)، الحجة والدليل في نصرة الدين الذليل، تر. ليلى أبو المجد، إشراف ومراجعة حسن حنفي وأحمد هويدي، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014.

المصادروالمراجع الأجنبية

- Heinrich Graetz, History of the Jews, Philadelphia, the Jewish publication society of America, 2013.
- Hirschfeld Leo, Ibn Kammuna Saad Ibn Mansur und seine polemische schrifte, Hohen philosophischen fakultat, universitat Heidelberg.
- Leon Nemoy, The Arabic Treatise on the Immortality of the Soul by Sad ibn Mansur ibn Kammuna (XIII Century), Facsimile Reproduction of the Only Known Manuscript (Cod. Landberg 510, fol. 58–70) in the Yale University Library. With a Bibliographical Note. New Haven 1944.

- Pourjavady Reza and Sabine Schmidtke. A Jewish Philosopher of Baghdad. Izz al-Dawla Ibn Kammuna and His Writings, Edited by H. Daiber and D. Pingree, Volume LXV, Brill, Leiden, Boston, 2006.
- Steinschneider Moritz, Die arabische Literatur der Juden, Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt, Frankfurt a. M. 1902.
- Vajda George, Introduction à la pensée juive du moyen âge, Libraire philosophique, Paris 1947.

المقالات والمو اقع الأجنبية

- Tzvi Langermann, Ibn Kammūna and the ‘‘new wisdom’’ of the thirteenth century, Arabic Sciences and Philosophy, vol. 15 (2005) pp. 277–327, Cambridge University Press.
- Tzvi Langermann, The Soul in Ibn Kammūna Kalimat Wajıza, Nazariyat Journal for the History of Islamic Philosophy and Sciences 3/1 (November 2016): 23-42.
- Tzvi Langermann, Ibn Kammūna, article in Stanford Encyclopedia of Philosophy, www.plato.stanford.edu, accessed on October 12, 2022
- Leon Nemoy, Ibn Kammūna Treatise on the Differences between the Rabbanites and the Karaites, University of Pennsylvania Press, The Jewish Quarterly Review, Vol 63, No. 2 (Oct. 1972).